

الأساطير المقدسة

المؤلف: الدكتور/أحمد محمد زين المطاوي

التاريخ: 31/03/2017

تتوق النفس إلى فطرتها.. إلى نقاء خلقتها..

يشرق النور ساطعاً بين أرجاء الروح..

غير أن من حولنا قد يطفئون بريق النور..

ينظرون إليك ويشحذون هفتاك بما يعتقدونه هم..

يصورون لك أنك مميز في ما يرونـه.. يفيضون عليك هالات الإعجاب..

النتيجة!!.. ثُعجب النفس لمكانة المتميـز الفذ بين الناس..

تصارع النفس ما يزيـنه لها المعجبون من مكانة بارزة..

تحاول التشـبـث بالحق المنير.. يطول الصراع.. ويطول..

النتيـجة!!.. يـنـتـصـرـ الحق.. يـشـرقـ النـور..

ها هي آن كوليـز.. امرأـةـ نـشـأتـ فيـ عـائـلـةـ مـسـيـحـيـةـ متـديـنـةـ.. كـانـتـ تـحرـصـ عـلـىـ قـدـاسـ الأـحـدـ ذاتـ حـرـصـهاـ عـلـىـ التـمـسـكـ بـقـنـاعـتهاـ المـتـذـبذـبةـ فـيـ بـعـضـ تـعـالـيمـ الـمـسـيـحـيـةـ.. درـسـتـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ فـهـاـلتـهاـ بـعـضـ أـفـكـارـ الـغـرـبـيـةـ مـثـلـ فـكـرةـ "ـالـخـطـيـئـةـ الـأـصـلـيـةـ"ـ، وـ"ـالـثـالـوـثـ الـأـقـدـسـ"ـ.. اـشـتـرـتـ تـرـجـمـةـ لـمـعـانـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ مـنـ إـحـدىـ الـمـكـتـبـاتـ.. دـاـوـمـتـ عـلـىـ قـرـاءـتـهاـ فـكـانتـ لهاـ بـمـنـزـلـةـ مـفـتـاحـ النـجـاةـ.. فـلـحـقـتـ بـرـكـةـ الـمـتـحـولـيـنـ مـنـ النـصـارـائـيـةـ إـلـىـ إـلـاسـلـامـ فـيـ بـلـدـهـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ، حيثـ تـشـيرـ الـدـرـاسـاتـ وـالـإـحـصـاءـاتـ إـلـىـ أـنـ ثـلـثـ الـمـسـلـمـيـنـ الـأـمـرـيـكـيـيـنـ كـانـواـ فـيـ الـأـصـلـ مـسـيـحـيـيـنـ!

آن كوليـزـ بـطـلـةـ هـذـهـ القـصـةـ، تـتـحدـثـ عـنـ إـسـلـامـهـاـ فـتـقـولـ: كـانـ وـالـدـايـ مـلـتـزمـيـنـ بـالـجـمـاعـةـ الـكـنـسـيـةـ، وـكـانـ فـيـ أـحـايـيـنـ كـثـيرـةـ نـسـتـضـيفـ قـساـوـسـ بـرـوـتـسـتـانـتـيـيـنـ فـيـ مـنـزـلـنـاـ.. وـكـنـتـ أـسـاعـدـ أـمـيـ الـتـيـ كـانـتـ تـعـمـلـ بـالـتـدـرـيـسـ فـيـ مـدـرـسـةـ الـأـحـدـ

كانـ أـقـارـبـيـ يـمـيـزـونـ بـيـنيـ وـبـيـنـ أـخـتـيـ فـيـ دـرـجـةـ التـدـيـنـ.. أـذـكـرـ أـنـ خـالـتـيـ أـهـدـتـيـ فـيـ عـيـدـ مـيـلـادـيـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ، بـيـنـماـ أـهـدـتـ أـخـتـيـ دـمـيـةـ.. لـاحـقاـ طـلـبـتـ مـنـ وـالـدـيـ كـتـابـ صـلـاـةـ، وـظـلـلـتـ أـقـرـأـ فـيـهـ يـوـمـيـاـ لـسـنـوـاتـ طـوـيـلـةـ.. وـعـنـدـمـاـ التـحـقـتـ بـالـمـدـرـسـةـ التـزـمـتـ بـرـنـامـجـ درـاسـةـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ لـعـامـيـنـ، وـحتـىـ ذـلـكـ الـحـيـنـ كـنـتـ قـدـ قـرـأـتـ بـعـضـ الـأـجـزـاءـ مـنـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ بـيـدـ أـنـيـ لـمـ أـسـتـوـعـبـهاـ عـلـىـ نـحـوـ جـيـدـ

أـصـابـتـنـيـ بـالـارـتـبـاكـ مـقـاطـعـ كـثـيرـةـ فـيـ كـلـ مـنـ الـعـهـدـيـنـ الـقـدـيمـ وـالـجـدـيدـ.. لـقـدـ وـجـدـتـ أـنـهـاـ غـرـبـيـةـ وـغـيرـ قـابـلـةـ لـلـتـفـسـيرـ أـذـكـرـ مـنـهـاـ عـلـىـ سـبـيلـ المـثالـ- فـكـرةـ "ـالـخـطـيـئـةـ الـأـصـلـيـةـ"ـ، الـتـيـ تـعـنـيـ أـنـ الـبـشـرـ جـمـيعـهـمـ آـثـمـونـ عـنـدـ مـوـلـدهـمـ.. كـانـ لـيـ أـخـ رـضـيـعـ.. كـنـتـ أـنـظـرـ إـلـيـهـ وـأـنـقـدـ فـكـرةـ "ـالـخـطـيـئـةـ الـأـصـلـيـةـ"ـ، لـأـنـيـ تـوـصـلـتـ إـلـىـ قـنـاعـةـ مـفـادـهـاـ أـنـ الرـضـعـ بـبـرـاءـتـهـمـ الـمـعـهـودـةـ لـاـ يـمـكـنـ لـهـمـ أـنـ يـكـونـواـ آـثـمـيـنـ

كـذـلـكـ كـانـ فـيـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ الـكـثـيرـ مـنـ الـقـصـصـ الـغـرـبـيـةـ وـالـأـسـاطـيـرـ الـمـثـيـرـةـ بـيـدـ أـنـ أـكـثـرـهـاـ غـرـابـةـ وـأـشـدـهـاـ حـرـجـاـ هوـ مـوـضـوعـ "ـالـثـالـوـثـ الـأـقـدـسـ"ـ.. لـمـ يـكـنـ بـوـسـعـيـ أـنـ فـهـمـ كـيـفـيـةـ أـنـ يـكـوـنـ لـهـ ثـلـاثـةـ أـقـسـامـ، أـحـدـهـاـ بـشـريـ!ـ وـعـقـبـ درـاسـتـيـ لـلـأـسـاطـيـرـ الـيـونـانـيـةـ وـالـرـوـمـانـيـةـ فـيـ الـمـدـرـسـةـ اـعـتـقـدـتـ أـنـ فـكـرةـ التـتـلـيـثـ تـمـاـثـلـ كـثـيـرـاـ أـفـكـارـ الـرـوـمـانـ وـالـيـونـانـيـيـنـ الـذـيـنـ كـانـواـ يـؤـمـنـونـ بـمـاـ يـسـمـيـ "ـآـلـهـةـ"ـ تـضـطـلـعـ بـجـوـانـبـ الـحـيـةـ

الـمـخـلـفـلـةـ

كـانـ هـنـاكـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـمـورـ بـالـكـتـابـ الـمـقـدـسـ الـتـيـ كـنـتـ غـيرـ مـقـتنـعـ بـهـاـ بـيـدـ أـنـ حـرـصـيـ عـلـىـ وـصـفـ مـنـ حـوـلـيـ لـيـ بـأـنـيـ مـتـديـنـ جـعلـيـ أـمـتنـعـ عـنـ طـرـحـ الـأـسـئـلـةـ.. لـكـنـ وـمـ حـسـنـ الـحـظـ كـانـ مـعـنـاـ صـبـيـ يـعـبـرـ تـمـامـاـ عـنـ مـشـاعـرـيـ إـذـ كـانـ يـطـرـحـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـسـئـلـةـ حـولـ "ـالـتـتـلـيـثـ"ـ، وـكـانـ يـتـلـقـيـ إـجـابـاتـ كـثـيـرـةـ غـيرـ أـنـهـ لـمـ يـقـتنـعـ بـهـاـ قـطـ، وـكـذـلـكـ الـحـالـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـ.. كـانـ مـعـلـمـنـاـ أـسـتاـدـاـ فـيـ الـلـاهـوـتـ مـنـ جـامـعـةـ مـيـتـشـيـغانـ وـعـنـدـمـاـ وـجـدـ أـنـ الصـبـيـ الـمـلـحـاـ غـيرـ مـقـتنـعـ بـإـجـابـاتـهـ طـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـصـلـيـ مـنـ أـجـلـ الـإـيمـانـ

الـحـقـيـقـةـ عـنـدـمـاـ كـنـتـ فـيـ الـثـانـوـيـةـ رـغـبـتـ سـرـاـ فـيـ أـنـ أـكـوـنـ رـاهـبـةـ جـذـبـتـنـيـ إـلـىـ ذـلـكـ الـحـيـةـ الـمـكـرـسـةـ لـهـ تـعـامـاـ، إـلـىـ جـانـبـ اـرـتـدـاءـ لـبـاسـ يـظـهـرـ نـمـوذـجـ حـيـاتـيـ الـدـيـنـيـةـ.. الـعـقـبـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـقـفـ فـيـ طـرـيقـ حـقـيـقـةـ أـنـيـ لـمـ أـكـنـ كـاثـوـلـيـكـيـةـ، فـقـدـ عـشـتـ فـيـ مـدـنـيـةـ تـقـعـ فـيـ الـوـسـطـ الـغـرـبـيـ

من أمريكا حيث إن الكاثوليكين يشكلون أقلية لا تحظى بشعبية.. هذا بالإضافة إلى أن تربتي البروتستانتية جعلتني أنفر من التماثيل الدينية إلى جانب أنها أكسبتني إنكاراً قوياً لفكرة أن القديسين الموتى لديهم القدرة على مساعدة الأحياء

في الجامعة كنت أسمع إلى مناقشات الطلاب حول موضوع الدين فطرقت مسامعي الكثير من الأفكار المختلفة حول هذا الأمر.. لقد قمت بدراسة المسميات الدينية الشرقية كالبوذية، والكونفوشية، والهندوسية، بيد أنني لم أقنع بأي منها

وقدر لي أن ألتقي مسلماً ليبياً.. حدثني ذلك الليبي قليلاً عن الإسلام والقرآن الكريم.. قال لي في ثقة إن الإسلام هو الدين العصري والشكل الأكثر حداة بين الأديان السماوية.. ما جعلني آنذاك غير مقتنع بحديه لاعتقادي أن أفريقيا والشرق الأوسط أماكن مختلفة وبالتالي لم أكن أتوقع أن ينبعث منها دين عصري.. وفي إحدى المرات صحبت عائلتي المسلم الليبي إلى قداس عيد الميلاد.. كان احتفال القدس بالنسبة إلينا جميلاً شديداً الروعة.. لكن وعقب انتهائه سألني الليبي: "من وضع هذه الطريقة؟ ومن علمكم كيف تصلون؟" أجبته بأن حدثه عن تاريخ الكنيسة الباكر.. وعلى الرغم من أن سؤاله أغضبني في بداية الأمر فإنه دفعني لاحقاً إلى التفكير في الطقوس التعبدية المسيحية فوجهت لنفسي عدة أسئلة: ترى هل الأشخاص الذين صمموا هذا الطقس التعبدية الذي انتقده الليبي مؤهلون لفعل ذلك؟ ما هي كيفية تعزفthem الشكل الأمثل الذي ينبغي أن تتخذه تلك العبادة؟ وهل لديهم أمر إلهي بذلك؟

فكرت ملياً ووصلت إلى أنني لا أؤمن بالعديد من تعاليم الديانة المسيحية، ومع ذلك كنت أرتاد الكنيسة.. وأذكر عندما كانت تتلو جماعة المصلين مقاطع لست مقتنعة بصحتها، مثل "عقيدة نيسن" كنت أصمت ولا أقرؤها، ما جعلني أشعر وكأنني امرأة غريبة ومقطمة على الكنيسة

ثم حدث أمر كان بالنسبة إلي بمنزلة القشة التي قصمت ظهر البعير.. ففي أحد الأيام ذهبت إحدى قريباتي إلى قس كنيستنا وهي تطلب منه النصائح في مشكلات زوجية كانت تعانيها، لكن القس استغل ظرفها النفسي فأخذها إلى "موتيل" وأغواها

منذ ذلك الحين كنت حينما أرتاد الكنيسة أجلس وأنظر إلى الكهنة الذين يتقدمون جموع المصليين.. كنت أقول في نفسي إنهم ليسوا بأفضل من جموع المصلين، بل إن بعض الكهنة كانوا أسوأ منهم.. وطرحت على نفسي عدة أسئلة من بينها: كيف ينبغي أن يكون هناك وسيط بيني وبين الله؟ لم لا أتعامل مباشرة مع الله، والحصول على مغفرته دون ذلك الوسيط؟

لم يمر وقت طويل حتى وجدت ترجمة لمعاني القرآن الكريم في إحدى المكتبات، فاشترتها، وطللت أحضرت على قراءتها، مع مواصلة بحثي في الأديان الأخرى.. خوفي من خطايدي أخذ يزداد يوماً بعد يوم، وكذلك الحال مع القلق الذي كان يساورني إذ كنت أبحث عن الكيفية التي تؤكد لي أن الله غفر خطايدي وأنا المرأة التي تتوقع بصدق إلى الصفح والغفران

راودني الأمل في أنني سوف أجده الإجابة عن تساؤلاتي في الدين الإسلامي عندما قرأت قول الله تعالى: (.. وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوْدَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الدِّينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسَّيْسِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكِبِرُونَ (82) وَإِذَا سَوْفَعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ الرَّسُولُ تَرَى أَغْيَثَتْهُمْ تَقْيِضُ مِنَ الدَّمْعِ مَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَمَّا فَاكِثْبَنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطَقْنَا أَنْ يُذْخَلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الضَّالِّيْنَ (84)).

وبمحض المصادفة شاهدت في شاشة التلفزيون مسلمين يصلون وعندما فوجئت أن لدى المسلمين طريقة خاصة في الصلاة تختلف عن صلاة المسيحيين.. عقب ذلك عثرت على كتاب -من شخص غير مسلم- يشرح طريقة صلاة المسلمين.. جربت أداء الصلاة بنفسي بالطبع لم أكن أعرف شيئاً عن الطهارة ولم أكن أصلي على نحو صحيح ومع ذلك أتيت تلك الصلاة سراً وبمفردي ولعدة سنوات وبعد مرور نحو سنوات من اقتنائي القرآن، قرأت فيه: (... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَتَمَّفْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِشْلَامُ دِيَنًا).

بحق بكيت فرحاً.. انتابني الإحساس وكأن هذا القرآن كتب لأجي لي أنا.. نعم شعرت بأن الله الذي أنزل هذا القرآن منذ زمان قديم يعلم أن كولينز التي تقطن منطقة (Cheektowaga) - نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، ستقرأ هذه الآية من القرآن في أيار 1986، وسوف تنعم بالخلاص الذي تبحث عنه

عرفت آنذاك أنه ينبغي لي تعلم أشياء كثيرة، مثل كيفية أداء الصلاة على النحو الصحيح.. شعرت بحاجة إلى استقاء معلوماتي من أحد المسلمين لكن مشكلة كبيرة واجهتني تتمثل في أنني لم أكن أعرف أي مسلم

إن المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية في وقتنا الراهن أكثر ظهوراً بكثير مما كانوا عليه في تلك الأونة التي كنت أبحث فيها عن مسلم ليعبئني على فهم الإسلام.. بحثت في دليل الهاتف فعثرت على رقم هاتف "الجمعية الإسلامية" .. اتصلت بهم هاتفياً لكن ما أن ردّ علي أحدهم حتى شعرت بالخوف وقطعت المكالمة الهاتفية.. سألت نفسي: ترى ماذا سأقول لهم؟ وكيف ستكون إجابتهم؟ هل

ستساورهم الشكوك بشأنني؟ وهل سيرغبون في انضمami إليهم ما داموا متربطين مع بعضهم بعضاً ومع إسلامهم؟

في الشهرين التاليين لمكالمتي الهاتفية الأولى مع الجمعية الإسلامية اتصلت عدة مرات هاتفياً بالمسجد، بيد أنني كنتأشعر بالخوف في كل مرة وأقطع المقابلة حالما يرد علي أحدهم

أخيراً، كتبت رسالة أطلب فيها معلومات عن الإسلام وعن كيفية الصلاة.. بصدر رحب اتصل بي أحدهم هاتفياً، من ثم ظل يرسل إلي الكتبيات التي تتعلق بالإسلام.. قلت له إنني أريد أن أصبح مسلمة فقال لي: "انتظري حتى تكوني واثقة بذلك". أزعجني حديثه ذاك، لكنني وبعد تفكير عميق عرفت أنه كان على حق، إذ إن علي أن أكون واثقة برغبتي في الإسلام، لأن اعتنادي له يعني حدوث تغيير جذري في حياتي وإلى الأبد

الحقيقة استحوذت على الإسلام كلية وطللت أفker فيه ليلاً ونهاراً، بل عندما كنت أقود سيارتي إلى أقرب مسجد من مسكنـي - وكان آنذاك مجرد بيت قديم - كنت أطوف حوله مرات عديدة وكل أملـي أن أرى مسلماً ليخبرـني عـقا يوجد ويدور داخلـه

وفي أحد أيام تشرين الثاني 1986، وبينما كنت منشغلـة بعملـي في المطبـخ، انتابـني شعور مفاجـعـي بأنـي مسلـمة فأرسلـت رسـالة إلى المسـجد أقولـ فيها: "إـنـي أـؤـمنـ بالـلهـ الـواـحـدـ الـحـقـ،ـ وـأـؤـمـنـ بـمـحـمـدـ رـسـوـلـ،ـ وـأـرـيدـ أـكـونـ مـنـ الشـاهـدـيـنـ".

في اليوم التالي، اتصلـ بي هاتفـياً الشخصـ ذاتـه الذي كانـ يتـواصلـ معيـ منـ قـبـلـ وـنـطـقـ الشـهـادـةـ أـمـامـهـ عـبـرـ الـهـاتـفـ..ـ أـخـبـرـنيـ حـيـنـذاـكـ أـنـ اللـهـ قـدـ غـفـرـ لـيـ فـيـ تـلـكـ الـلحـظـةـ جـمـيعـ أـخـطـائـيـ،ـ وـأـنـيـ الـآنـ نـقـيـةـ مـثـلـ طـفـلـ وـلـيـدـ..ـ شـعـرـتـ بـأـطـنـانـ مـنـ الـخـطاـيـاـ تـنـزـلـ مـنـ عـلـىـ كـاهـليـ وـتـفـارـقـنـيـ إـلـىـ الـأـبـدـ..ـ بـكـيـتـ فـرـحاـ..ـ لـمـ أـنـمـ طـيـلـةـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ فـقـدـ كـنـتـ أـكـبـرـ وـأـنـاـ أـرـدـدـ اـسـمـ اللـهـ،ـ كـيـفـ لـاـ وـقـدـ نـلـتـ الصـفـحـ وـالـغـفـرـانـ وـلـلـهـ الـحـمـدـ وـالـمـنـةـ

نعمـ الـحـمـدـ لـلـهـ عـلـىـ جـمـوعـ الـمـهـتـدـيـنـ الـذـيـ يـدـخـلـوـنـ فـيـ دـيـنـهـ أـفـوـاجـاـ يـوـمـاـ بـعـدـ يـوـمـ..ـ

يـاـ اللـهـ..ـ لـقـدـ مـرـ مـعـنـاـ طـفـلـانـ فـيـ قـصـةـ آـنـ!!

طـفـلـ رـضـيـعـ مـحـمـلـ بـالـأـثـامـ..ـ بـ"ـالـخـطـيـةـ الـأـصـلـيـةـ"ـ..ـ

وـطـفـلـ بـرـيءـ مـنـ الـأـثـامـ شـعـرـتـ بـهـ آـنـ عـنـدـمـاـ نـطـقـتـ بـالـشـهـادـتـيـنـ..ـ

الـفـارـقـ بـيـنـ الطـفـلـيـنـ هـوـ الـفـارـقـ بـيـنـ الـعـقـيـدـيـنـ!!

اخـتـرـ لـنـفـسـكـ أـحـدـ الطـفـلـيـنـ..ـ

اسـأـلـ اللـهـ الـهـدـاـيـةـ..ـ فـبـالـلـهـ نـهـتـدـيـ إـلـىـ اللـهـ

المصادر:

أوسـمانـ،ـ حـيـاةـ (27ـ يـوـنـيوـ 2016)؛ـ مـقـالـ بـعـنـوانـ:ـ قـصـةـ إـسـلـامـ حـيـاةـ كـوـلـيـنـزـ مـنـ التـثـلـيـثـ إـلـىـ التـوـحـيدـ؛ـ اـسـتـرـجـعـ بـتـارـيـخـ 30ـ مـارـسـ،ـ 2017ـ مـنـ مـوـقـعـ "ـنـسـاءـ مـنـ أـجـلـ فـلـسـطـيـنـ"ـ:ـ <http://www.womenfpal.com>

الـلـوـلـوـ،ـ هـالـةـ صـلـاحـ الدـيـنـ (2005)؛ـ كـيـفـ أـسـلـمـتـ؟ـ دـمـشـقـ:ـ دـارـ الـفـكـرـ

مـهـديـ،ـ مـصـطـفـيـ (17ـ يـانـيـرـ 2017)؛ـ مـقـالـ بـعـنـوانـ:ـ قـصـةـ إـسـلـامـ الـأـخـتـ حـيـاةـ كـوـلـيـنـزـ"ـ مـنـ التـثـلـيـثـ إـلـىـ التـوـحـيدـ"ـ؛ـ اـسـتـرـجـعـ بـتـارـيـخـ 30ـ مـارـسـ،ـ 2017ـ مـنـ مـوـقـعـ شـبـكةـ الـأـلـوـكـةـ:ـ <http://www.alukah.net>